ريف الموصل في رحلة ماكس فون أُوبنهايم

خطَّاب إِسماعيل أَحمد * ومحمد علي صالح**

تأريخ التقديم: 2022/8/27 تأريخ القبول: 2022/10/8

المستخلص:

يتناول البحث إِحدى أَبرز الرحلات التي وصفت المشرق العربي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والرحلة لواحد من أَبرز الأشخاص الذين أَثروا في المشرق العربي؛ إِذ يعدّه بعضهم النسخة الأَلمانيَّة من لورنس العرب، وهو باحث تاريخي وآثاري، وفي رحلته من البحر المتوسط إِلى الخليج العربي كانت الموصل إِحدى محطات الرحلة التي وصلها قادمًا من سوريا عبر طريق نصيبين مارًا بمناطق شمال غرب الموصل، وبعد وصوله إِلى الموصل غادر إِلى بغداد فوصف مناطق جنوب الموصل.

والمطلع على الرحلة سيجد الكثير من المعلومات الجغرافية فوصف الطرق وطبيعة الأرض والأَنهار والأَودية وحدد المسافات بين المدن والقرى المميَّزة والملفت أَنَّه استعان بخرائط من سبقه من الرحالة مثل: بلنت وسخاو، واستعان ببعض المستشرقين في تحديد المدن الآثارية الَّتي وصفها بدقة مثل مدينة باعيناثا (أبو وجنة) وفي الرحلة سجل العديد من الملاحظات حول فئات المجتمع فوصف تاريخ الآيزيديَّة وعقيدتهم وأَبرز من زارهم من الرحالة، وما كان يدور بينهم وبين سكان ريف الموصل وموقف الدولة العثمانيَّة منهم، ووصف سكان البوادي من أَعراب الموصل وطبيعة حياتهم ولباسهم وطعامهم والغزو والأسلحة ومكانة النساء في المجتمع الريفي.

الكلمات المفتاحية: ريف الموصل، أُوبنهايم، ديمغرافية السكان.

المقدمة

* أُستاذ/قسم التاريخ/ جامعة زاخو/ إِقليم كردستان العراق.

* أُستاذ مساعد/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

يتناول البحث إِحدى أَبرز الرحلات الَّتي وصفت المشرق العربي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والرحلة لواحد من أَبرز الأشخاص الذين اثرو في المشرق العربي؛ إِذ يعدُّه بعضهم النسخة الألمانية من لورنس العرب، وهو باحث تاريخي وآثاري، وفي رحلته (من البحر المتوسط إِلى الخليج العربي) كانت الموصل إِحدى محطات الرحلة التي وصلها قادماً من سوريا عبر طريق نصيبين ماراً بمناطق شمال غرب الموصل، وبعد وصوله إِلى الموصل غادر إِلى بغداد فوصف مناطق جنوب الموصل.

والمطلع على الرحلة سيجد الكثير من المعلومات الجغرافية فوصف الطرق وطبيعة الأرض والأَنهار والأَودية وحدد المسافات بين المدن والقرى المميَّزة، والملفت أَنَّه استعان بخرائط من سبقه من الرحالة مثل: بلنت وسخاو واستعان ببعض المستشرقين في تحديد المدن الاثارية التي وصفها بدقة مثل مدينة باعيناثا (أبو وجنة) وفي الرحلة سجل العديد من الملاحظات حول فئات المجتمع فوصف تاريخ الآيزيديَّة وعقيدتهم، وأَبرز من زارهم من الرحالة وما كان يدور بينهم وبين سكان ريف الموصل وموقف الدولة العثمانية منهم، ووصف سكان البوادي من أَعراب الموصل وطبيعة حياتهم ولباسهم وطعامهم والغزو والأسلحة ومكانة النساء في المجتمع الريفي .

كما قدم لنا وصفًا دقيقًا لسكان ريف الموصل وأَبرز القبائل العربية التي استوطنت ريف الموصل واعد قوائم بهم ويمكن القول إِنَّ هذه الرحلة هي التي مهدت له للبقاء في الجزيرة الفراتية والعمل في التنقيب عن الآثار في تل حلف والتخطيط لسكة حديد بغداد برلين واستمر يتردد إِلى الجزيرة الفراتية إِلى قبيل الحرب العالمية الثانية.

ويعدُّ كتاب البدو أَفضل موسوعة عن القبائل العربية في العراق وسوريا والأردن والجزيرة العربية الذي كان نتاج البقاء في المنطقة العربية من سنة 1891-1939 ويقدم أُوبنهايم العديد من الملاحظات التي تبيِّن استقراء رائع

للمستقبل مثل توطين الأَعراب وانشاء حاميات لحفظ الأَمن ومد خطوط التلغراف التي تساعد على سرعة التواصل بين إسطنبول والولايات العربية.

وقد تم تقسيم البحث إِلى مبحثين تناول الأَوَّل أَهميَّة رحلة أُوبنهايم إِلى ريف الموصل واهم ملاحظاته ديمغرافية السكان في الجزيرة الفراتية وريف الموصل وصفات وطبائع البدو وسكان ريف الموصل، أَمَّا المبحث الثاني فجاء لوصف سير رحلته في ريف الموصل الغربي من نصيبين إِلى الموصل وأَبرز ما شاهدته في طريقه وكذلك سير الرحلة عبر نهر دجلة إِلى الشرقاط وما تم تسجيله من ملاحظات في هذه الرحلة التي كانت في شهر آب أغسطس عام 1891م.

المبحث الاول

أولا: أهمية رحلة أُوبنهايم إِلى ريف الموصل وأَبرز ملاحظاته:

يزعم أُوبنهايم انه من الرحالة القلائل الذين دخلوا إِلى شمال ما بين النهرين أي المنطقة بين الموصل ونصيبين وسنجار فلم يسبقه إِليها حسب ما يقول إِلَّا هنري لايرد[1] والسيدة بلنت[2]،وفشل زاخاو [3] في الوصول إِليها بسبب الأوضاع التي كانت سائدة هناك فضلا عن كثرة الغزوات التي ساعدت فيها صعوبة فرض الأَمن بسبب جريان الأَنهار وكثرة الجداول التي تعيق اللحاق بالبدو[4].

كما يذكر خطرًا آخر يدفع الرحالة بالابتعاد عاد عن سلوك طريق الموصل نصيبين في هذه الأعوام الربع الأخير من القرن التاسع عشر بسبب ما كان يحدث من صراع وغزوات بين سكان سنجار والقبائل المحيطة حتى غدت المنطقة بين سنجار

---

(1) اوستن هنري لايارد، نينوى واثارها ،ترجمة خضر علي سويد ط1،(دار الرافدين ،بيروت:2018)ج1/216-218

(2) ونستون، ليدي ان بلنت السيرة الذاتية، ترجمة ريمون باليكي (دار برزان، بيروت :2003)

(3) زاخاو (1845-1930م)، ينضر نجيب العقيقي، المستشرقون، ط 3 (دار المعارف، القاهرة: 1964). 2\740.

(4) ماكس فون اوبنهايم ، من البحر المتوسط الى الخليج العربي ،ترجمة محمود كبيبو ،دار الوراق :لندن 2009 ،ج2/ص 31

ونـهر دجلة من اخطر المناطق على الرحالة وعابري الطريق فيقول " كانت المنطقة بين جبل سنجار الذي اصبح خلفنا ونـهر دجلة الذي نتوجه اليه خطيرة جدا في ذلك الوقت بالنسبة للمسافر المسالم كان سكان سنجار اليزيديون ثائرين ضد الحكومة التي كان البدو يقفون إِلى جانبها هذه المرة .....وكانت أفواج كبيرة من الأَيزيديين قد جاءت من جبال كردستان وعبرت دجلة لتقدِّم العون لإخوتها في العقيدة ضد القوات الحكومية في هذه المنطقة المعزولة من جبل سنجار الغنية بالمياه والقطعان وكان اليزيديون يشنون انطلاقًا من جبل سنجار غزوات متكررة ضد البدو الموجودين في سهول ما بين الرافدين" [1].

للبارون ماكس أُوبنهايم معرفة تاريخية تثير الاعجاب فلا يدخل مدينة كبيرة أَو صغيرة الا ويعطي تفاصيل عن تاريخها في العصور القديمة وفي العصر الروماني والساساني والعصور الإسلامية وهذا يدل على اطلاع واسع على تاريخ بلاد المشرق الإسلامي فيقول مثلا عن مدينة نصيبين :" في هذه الفترة ظلت نصيبين في حالة عالية من الازدهار كان السكان كما هي الحال في معظم أجزاء بلاد ما بين النهرين مسيحيين وكانت المدينة قد أصبحت مقرا للأسقف...بعد انهيار السلطة الرومانية عادت نصيبين مع منطقة شمال بلاد ما بين النهرين إِلى ايدي الفرس...بعد تدهور الخلافة العباسية تمكن بعض الحكام المحليين الطموحين من تأسيس ممالك مستقلة خاصة بهم في شمال بلاد ما بين النهرين اقامت الاسرة التركية الارتقيون مملكة صغيرة " [2]

يعتمد أُوبنهايم على من سبقه من الرحالة في بيان أحوال البلاد في العصر العثماني فيقول واصفا لإِحدى المدن "وفي القرن التاسع عشر تبدأ تقارير الرحالة الأوروبيين عن نصيبين نقلا عن تافرنييه المدينة التي كانت مزدهرة في يوم من الأيام بانها قرية لا أهمية لها مع عدد قليل من السكان المسيحيين اليعاقبة ويقدر نيبور الذي مر من هنا بعد مائة عام في عام 1766 حجم المدينة بنحو 150 كوخا

---

(1) المصدر نفسه :174/2.

(2) اوبنهايم ، من البحر المتوسط الى الخليج العربي:2/ 55-56

ويسترسل بأن نصيبين الان تقع تحت حماية شيخ طي الذي أَخذ على عاتقة حماية المدينة من البدو والاكراد مقابل دفع ضرائب للشيخ ". [1]

وعن الموصل يقول غير إِنَّ الموصل لم تدخل التاريخ بعد نسيان اسم نينوى القديمة في العصور الوسطى إِلَّا بعد ظهور أُسرة عربية هي الحمدانية التي كانت في الأصل مسؤولة عن إِدارتها واتخذت منها مركزا لدويلتها ...وبعد ضعف السلاجقة اعلن حاكم الموصل وهو سلجوقي أيضا استقلاله واصبح مؤسسا لسلالة حاكمة هي سلالة الزنكيين أَو الأَتابكة التي بقيت في الحكم حتى الغزو المغولي؛ إِذ شكل الحكم الزنكي العصر الذهبي لمدينة الموصل وخاصة في عهد بدر الدين اللؤلؤ ت1259م إِذ بلغت المدينة أَوج ازدهارها، وبعد ذكر العديد من الحكام والدول الَّتي تعاقبت على الموصل يرى أُوبنهايم ان أهمية الموصل تكمن كونها سوقًا تجارية مميَّزة جدًا لسكان المناطق المجاورة لها وهي نقطة التقاء لأَبرز طريقين في الشرق الأدنى الطريق العسكري من إسطنبول إِلى الخليج والطريق الواصل بين شمال فارس وسوريا الَّتي تعبر نهر دجلة وتتجه عبر سهول بلاد النهرين والبادية السورية ويتوقع أُوبنهايم ازدهارًا سريعًا للموصل حين ينفذ خط سكة حديد بغداد برلين المخطط له الَّذي يربط إسطنبول ببغداد الذي يختصر الزمن بين أُوربا والهند وفي كل الأحوال ان هذا الخط وما يعنيه من نشاط تجاري فإِنَّ الموصل ستكسب بذلك أهمية كبيرة في مجال الاقتصاد. [2]

كما دعى أُوبنهايم إِلى تطوير الجزيرة بتشجيع الزراعة في مجاري الأَنهار الخصبة مثل نهر الجغجغ والخابور، بإِصلاح قنوات الري وتوفير الحماية العسكرية للمنطقة بجنود نظاميين بدل الضابطية الحاليين، ويطالب بتوسيع شبكة التلغراف وربط دير الزور والموصل ونصيبين بشبكة تلغراف وربطها بأقرب شبكة فعالة وهي محطة اورفا، ويدعو إِلى ربط الرمادي بشبكة تلغراف الفرات وإِنشاء مخافر عسكرية تراقب البدو سريعي الحركة، وعندما تكتمل شبكات التلغراف ووجود قوات عسكرية

---

(1) المصدر نفسه :58/2

(2) المصدر نفسه:225/2–227

سيجعل البدو يضطرون إلى الاستقرار والتخلي على الأقل عن اعمال السلب والنهب والتحول إلى رحل مسالمين يعيشون على تربية الماشية. (1)

طالب أُوبنهايم الحكومة العثمانية بالمزيد من الأَعمال التي تعجل من استقرار ريف الموصل وعودة الأَمن إليها بحث القبائل على الاستيطان والعمل في الزراعة الذي نجح مع قبيلة الجبور الذين يعيش جزءًا كبيرًا منهم في قرى ثابتة على ضفاف نهر دجلة، ويمتدح ما تقوم به الحكومة من دفع أبناء شيوخ القبائل إلى الدراسة في إسطنبول في (مدرسة العشائر)، والغرض من ذلك هو تربية الفتيان ليصيروا رعايا أوفياء للسلطان وتعويدهم على النظام وآداب السلوك املا عند عودتهم إلى بلادهم في تحضير أبناء قبائلهم ،ويطالب بتوفير الحماية العسكرية للمستوطنات على أَطراف الصحراء وفي سفوح الجبال وعلى ضفاف الأَنهار حماية فعَّالة ضد غزوات البدو وتحرير القرى من دفع الخوة وابتزاز ونهب القوافل ومن ثم توسيع الزراعة إلى أَبعد مكان. (2)

ثانيا: ديمغرافية سكان ريف الموصل والجزيرة:

لايفوت أُوبنهايم ذكر تاريخ الجزيرة الفراتية العليا التي تضم ريف الموصل ويقدم عرض تاريخي منذ العصور الآشورية إلى العصر الروماني والدول الَّتي حكمت وسيطرت على المنطقة إلى العصور الحديثة ويفصل في بيان القوى المحلية التي تسيطر على المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي قبيلة شمر العربية وكيف قدمت إلى الجزيرة الفراتيَّة، وعبرت الفرات بسبب ضغط قبيلة عنزة البدوية وكيف تغلبت على القبائل البدوية في الجزيرة وأَجبرتها إلى التحول نحو مجاري الأَنهار أَو الهجرة إلى أعالي الجزيرة أَو إلى شرق دجلة كما هو الحال مع قبيلة طي. (3)

---

(1) المصدر نفسة :108-106/2

(2) المصدر نفسه :103-102/2

(3) المصدر نفسه:80/2

ويقدم عرضًا تاريخيًا لبداية بروز شمر على مسرح الاحداث في العراق ويحدد سنة 1830 السنة التي غدت فيها شمر مكون أساسي من القوى الفاعلة في العراق حين استعان والي حلب علي باشا اللاظ بشيخ شمر صفوق الجربا حين دخل بغداد وانهى حكم داود باشا، إِلَّا أَنَّ علي باشا أَخلف وعده لشمر مِمَّا دفعه لطلب العون من قبيلة عنزة وشق صف شمر إِلَّا أَنَّه اضطر للتعاون مع شمر مرَّة أُخرى للتخلص من خطر عنزة مما أعاد مرة أُخرى مكانة صفوق كشيخ لأقوى قبيلة في الجزيرة ازدادت مكانتها بعد دحر صفوق لقوة فارسية جعلت من صفوق ملك الصحراء ففرض الضرائب على جميع بلاد الرافدين . [1]

ويفصل في علاقة صفوق مع الدولة العثمانية وسياسية الفرق تسد التي مارستها الحكومة مع شمر في تشجيع شيوخ اخرين منافسين لصفوق حتى مقتله وبروز فرحان وعبد الكريم اللذان تقاسما الزعامة على شمر وكيف أجبرت الظروف عبد الكريم على اعلان العداوة للدولة العثمانية بعد مقتل أخيه عبد الرزاق على ايدي الاتراك في إِحدى المعارك اذ لم يبقى لعبد الكريم سوى لبحث عن اخذ الثأر لأبيه واخيه مما أدى إِلى تعرض جميع قرى ومدن منطقة ما بين النهرين للاعتداء والابتزاز على يد شمر إِلى درجة ان سكان المدن الكبرى صاروا لا يتجرؤون على مغادرة أَسوارها، ولم تسلم حتى الموصل[2].

ويذكر أُوبنهايم أوضاع شمر بعد مقتل عبد الكريم وكيف استقرت الأمور لفرحان وكيف فرت إِحدى نساء صفوق بأبنها الصغير فارس إِلى نجد وكيف عاد ونافس أخيه فرحان وقسمَّت شمر إِلى قسمين شمر الشمالية بقيادة فارس وشمر الجنوبية بزعامة فرحان ومن بعده أبنائه ويوضح أُوبنهايم كيف استمال الأَتراك فارس وأغدقوا عليه أَلقابًا رنانة فبعد قائم مقام شمر حصل على لقب باشا تساوى بذلك مع منافسه فرحان. [3]

(1) المصدر نفسه:84/2

(2) المصدر نفسه:86/2–87

(3) المصدر نفسه:89/2

ويبدأ أُوبنهايم ببيان المناطق الخاضعة لقبيلة شمر ويقول: "وفي الوقت الحاضر تسيطر شمر دون منازع على سهول ما بين النهرين من أروفه حتى منطقة بغداد والغالبية العظمى من القبائل الموجود في هذه المنطقة تدفع لهم الخوة " (1)

ويقدم أُوبنهايم قوائم بأسماء القبائل التي تستوطن ضفاف نهري دجلة والفرات والمناطق بينهما ويقسمها إِلى عدة اقسام الأَوَّل قبائل الخابور مثل: قيس وبني محمد الولدة العفادلة والبو عساف والبو خميس وقبائل أخرى عربية وكردية مثل الملية شيخان ودوقرلية اما القسم الثاني قبائل بين النهرين فيذكر الحديدين جركس الجبور خزرج بني تميم مجمع مشاهدة وغيره ولا يفوت أُوبنهايم بيان هل تدفع القبيلة الخوة لشمر ام لا وعدد خيام كل قبيلة وما تقتني من المواشي ومناطق نجعتهم في الربيع والصيف والشتاء بل ويصل إِلى بيان مذهب القبيلة فيقول : "من بين القبائل التي ذكرناها حتى الان يعتنق المذهب السني القبائل التالية: بقارة موالي حديدين الشركس الجبور خزرج مشاهدة البو كمال جغايفة دليم زوبع جنابيين غرير الرفيع عقيل عبيد ويعتنق المذهب الشيعي :بنو تميم المجمع زبيد ..." (2)

ومن المكونات الأخرى التي لاقت عناية البارون ماكس أُوبنهايم وأَخذت حيِّزًا مهمًا من رحلته في ريف الموصل هم الآيزيديَّة؛ إِذ قدَّم في أَوَّل الأَمر عرضًا تاريخًا لمعرفة لغرب بهم وأَبرز الرحالة الذين ذكروهم وقدموا معلومات عنهم مثل لايارد الذي يقول عنه انه قدم تقارير تفصيلية عنهم كما ينقل عن الرحالة الإنكليز مثل اينسوورث وباكينغهام وكذلك القنصل الفرنسي في الموصل سيوفي المسيحي السوري ونيبور وغيرهم من الرحالة الاوربيين كما يقدم معلومات عن كتاب الآيزيديَّة المقدس وأول من حصل على نسخة منه وجلبها إِلى أُوروبا (3).

---

(1) اوبنهايهم من البحر المتوسط الى الخليج العربي:2/89-90

(2) المصدر نفسه :2/92-98

(3) المصدر نفسه :2/176-177؛ ينظر كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة الى العراق، ترجمة سالم الآلوسي (دار الوراق ندار الوراق بيروت:2012) 322-328؛ لايارد المصدر نفسه: ج1 ص 191-224

يرى أُوبنهايم أَنَّ الآيزيديَّة هي فرقة لم تنبثق عن الإسلام وإنما تعود إِلى ديانات شرقية قديمة لكنَّها تأثرت بالإسلام والمسيحية واليهودية بحيث غدت خليطًا فوضويًا من مختلف التصورات الدينية والمفاهيم العقائدية ويرجح أَنَّ الاسم جاء من الكلمة الفارسية يزد التي تعني الإِله ويرى أَنَّ الفرقة تشكلت وظهرت في المُدَّة التي أعقبت الغزو المغولي [1]

ويقول أُوبنهايم إِنَّ الفكرة الأَساسيَّة لليزيدية تعود إِلى الزرادشتيَّة بسبب أَنَّهم يعترفون بمبدأين الخير أَي الله الَّذي حدث آخر تجسد له في هيئة الشيخ عدي ويسمونه (بالا) أَي الأعلى ويقدم تفصيل لموقع الشيخ عادي والحج اليه وغيرها من التفاصيل، أَمَّا المبدأ الثاني الشر الذي يحتل مرتبة أدني من المبدأ الأَوَّل، فهو متحد معه في الذات الإلهية لكن الآيزيدين يقدِّسون الشيطان بشكل خاص، ويتم التقديس لديهم بالتحريم القاطع للفظ اسم الشيطان حسب ما ذهب إِليه[2].

ويقدم أُوبنهايم شرحًا مبسطًا لتكوين المجتمع الآيزيدي الذي يتكون من زعيم سياسي يحمل لقب أَمير وزعيم ديني يحمل لقب شيخ خاضع للزعيم السياسي ويتم توارث هاتين الزعامتين ضمن عائلتين اثنتين ويوجد لديهم هيكل هرمي من رجال الدين مؤلف من عدة طبقات ينتمي إِلى الطبقة الأولى الشيوخ، ومهمتهم مراقبة الأعياد والاحتفالات الدينية، والطبقة الثانية القوال أي المتحدث وهم الذين ينشدون الأناشيد والثالثة الكوجك أي الموسيقيون والرابعة الفقراء أي الدراويش الذي يعلمون الأولاد أصول الدين. [3]

ويقول إِنَّهم لا يعيرون عناية كبيرة للصلاة والصوم أَمَّا الختان فهو غير ملزم والزواج والطلاق في غاية السهولة ويحق لهم الزواج من ست نساء، أَمَّا الأَمير فعدد غير محدود ويقدر عدد الآيزيديَّة بين الخمسين ألف والمائة ألف ويذكر التوزيع الجغرافي للآيزيدية الذين يعيشون في وسط كردستان والى الشمال من الموصل وفي

---

(1) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي :187/2

(2) المصدر نفسه :178/2–179

(3) المصدر نفسه :180/2

جبل سنجار ويوجد بعض القرى في روسيا وفي جبل سمعان غرب حلب ويصف طباعهم بأَنَّهم شعب جبلي خشن وشجاع لكنَّه غدَّار وشنيع ولصوصي[1].

ولا يفوت أُوبنهايم ذكر الحملات التي وجهت لليزيدية في القرن التاسع عشر في الأعوام 1832 وحملة والي ديار بكر عليهم في العام 1838، وحملة أَمير جزيرة بن عمر بدرخان بك على جبل طور عابدين في العام 18 44وحملة والي الموصل على سنجار في 1846 وبعد هذا التاريخ تدخل القناصل الاوربيين في الإِستانة لمنع الحملات بل حصلوا على فرمان يمنع تجنيدهم في الجيش العثماني كما فعل السفير البريطاني ستراتفورد عام 1849 كما تم الموافقة على طلبهم في العام 1872 في دفع مبلغ مالي كما يدفع اليهود والسريان كبدل بدلا من الالتحاق بالخدمة العسكرية[2].

وتماشيًا مع ما تم ذكره يقدم أُوبنهايم معلومات عن حملة الفريق عمر وهبي موفد الباب العالي إِلى بلاد الرافدين وما قرره تجاه الآيزيديَّة الذي التقى بشيوخهم بعد فترة منحها لهم لحسم امرهم في الاعتراف بالكتب السماوية وعندما قالوا إِنَّهم يفضلون الموت على التخلي عن دين آبائهم أَمر بقتلهم جميعًا، وحرض ضد الآيزيديَّة في طور عابدين الاكراد وفي جبل سنجار البدو حتى تدخل القناصل الاوربيون مرة أخرى عزل على اثر ذلك عمر باشا ويفسر أُوبنهايم خلو جبل الطور منهم بسبب ضغط الاكراد وشعورهم بحرب جديدة ضدهم فعبروا نهر دجلة كي ينضموا إِلى إخوانهم في جبل سنجار وهذا ما يفسر الأوضاع الخطرة التي عانت منها المنطقة التي مر بها أُوبنهايم في طريقه إِلى الموصل[3].

ثالثا: صفات البدو وسكان ريف الموصل:

---

(1) المصدر نفسه:189-183

(2) اوبنهايم ،من البحر المتوسط الى الخليج العربي:183/2-184

(3) المصدر نفسه:184/2-185

أَشاد ابونهايم بأخلاق البدو وحسن التعامل مع الأجانب والضيوف الذين يمرون في ديارهم وقد عبر عن ذلك قائلًا "أَود أَن أُسجِّل إِنَّني لم اتعرَّض عند استقبالي في مخيم شمر لاي مضايقة أَو ازعاج من قبل البدو بل إِنَّهم كانوا دومًا في غاية اللطف والادب.. طيلة فترة زيارتي يتصرفون بمنتهى الهدوء والانضباط" (1)

أ _طعام البدو :

في رحلة البارون استقبله العديد من شيخ القبائل والفلاحين قدَّم له كلا حسب ما يستطيع فقد أُولم له علو الصالح شيخ الجحيش وليمة من خروفين أَمَّا فلاحي قرية أبو وجنة فحضروا له خبزًا وحليب ماعز كان الشيخ فارس الجربا الأَكثر نصيبًا من بيان أنواع الطعام التي يقدِّمها للضيوف وللبارون ومرافقيه العشرون دون أي مقابل وقدم وصفًا لأوقات الطعام وما يحتوي من لحوم وخبز ورز وغيره فقال : " في الساعة العاشرة كانوا يتناولون نوعًا من الفطور الذي يتألف بعظمة من بقايا وجبات اليوم السابق ولكنه يحتوي على العسل والخبز ... كانت القهوة تجري كالسيل وخاصة عندما يأتي ضيف يستحق تكريمًا خاصًا وبعد الغروب بوقت قصير كانت تقدم الوجبة الرئيسة لإطعام مئات الأشخاص من جفنات ضخمة قليلة تحتوي على الرز والبرغل وفوق ذلك عدد من الخرفان وتصب فوق ذلك كميات كبيرة من السمن " (2) .

ويقول البارون: إِنَّ معيشة البدو بسيطة؛ إِذ يتألف غذاؤه الرئيس من البرغل والقمح المسلوق والمجروش والسمن ودهن الغنم واللبن وحليب الابل والماعز اما الجاموس والبقر فيكون عند القبائل التي أضحت نصف مستقرة بالقرب من الأَنهار ومن طعام البدوي اللحم المقطع أَو الممزق قطع صغيرة ويحب البدو أَكل الخرفان والإِبل الفتية لكنهم لا يحصلون عليه كل يوم ولا يستخدم البدو الملاعق ويشمر البدوي عن يديه حين يأكل ويشعر بالمتعة حين يشر الدهن من اليد ويتناول الطعام

(1) المصدر نفسه:65/2

(2) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي:67/2-68

بسرعة كبيرة وإِذا تبقى من الطعام شيء يحتفظ به للوجبة التالية ويأكل البدوي كل ما يعثر عليه الجرذان واليربوع والجراد ويحب البدو التمور ويحضر الخبز على شكل ارغفة مدورة ورقيقة كالورق[1]، ويخلص أُوبنهايم أَنَّ حياة البدوي وعيشة في الهواء الطلق تجعله يتمتع بصحة أفضل من السكان المستقرين.

ب_ المخيم وبيت الشعر:

يصف أُوبنهايم مخيمات البدو بطريقة رائعة تبيِّن إِعجاب الغربي بالبداوة فيقول في وصف مخيم قبيلة شمر العربية: "عند الاطلالة على المخيم شاهدنا منظرًا في غاية السحر والروعة خلف المخيم يمتد السهل ذو اللون الأَصفر الباهت وامامة تنتصب بتضاد الخيام الداكنة التي يبرز فوقها عدد لا حصر له من الرماح" [2]

يذكر البارون كيف كان بناء مخيمات البدو دون ترتيب إِلَّا أَنَّ هناك عوامل تجعل من بعضهم ينصب خيمة بالقرب من بعضهم الآخر، مثل صلات القرابة وفي مساحات واسعة جدًا بعيدة عن بعضها إِلَّا أَنَّه في أوقات الخطر تُبنى الخيام بصيغة الدوار أي نصب الخيام على شكل نصف دائرة ...إِذ هذه التشكيلة نصف الدائرية أَو على شكل حذوة الفرس تشكل الخيام مع أَحبالها المشدودة إِلى مسافة بعيدة الَّتي تتجه مداخلها جميعًا إِلى الداخل، نوعًا من التحصينات التي تحمي ولاسيَّما في الظلام من هجمات الخيالة المعادين[3].

ويفصل البارون في بيان طريقة بيان بناء بيوت الشعر وكيف تثبت الخيام على الأَعمدة وعدد الأَعمدة التي تتراوح بين اثنين وتسعة والحبال ومما نسج بيت الشعر وأَنَّ بيوت البدو في الشام والعراق تكون مضلعة وليست دائرية كما موجود عند الأَتراك، والبيوت تبقى مفتوحة من الأَمام ويقدم وصف دقيق لأجزاء البيت

(1) المصدر نفسه :2/157-158

(2) المصدر نفسه:2/64

(3) المصدر نفسه:2/68

الخيمة والشقاق والرواق والخدرة والربعة والعواميد ومنها الكاسر عمود الوسط والطرايق والكراب الخشبة التي تمثل راس العمود والطناب حبال الخيمة [1].

كما يذكر البارون أنواع الأَفرشة التي تفرش في قسم الرجال وقسم النساء وان نوعيتها تعتمد على القدرة المالية لصاحب البيت كما يذكر اين يكون الموقد و قسم النساء الذي يضم المؤن والحبوب والملابس وأدوات الطبخ المصنوعة من النحاس كما يصف دلال القهوة والمحمص والهاون والقمقم الذي تطبخ به القهوة والمصفاة والمصب وكيف تقدم القهوة حسب التسلسل للحاضرين حسب مكانتهم [2].

ويبيِّن البارون اعتزاز البدو بخيمهم التي لا توفر حماية كافية لهم من العوامل المناخية والتأثيرات الخارجية وهي طريقة عيشهم منذ آلاف السنين والبدوي فخور بخيمته السوداء وينظر باحتقار إِلى أبناء المدن والى بيوتهم الحجرية حتى القبائل التي بنت بيوت ثابتة استجابة لطلب الحكومة العثمانية مازالوا كالسابق يعيشون في الخيم وبقت البيوت الثابتة خالية كقبيلة طي [3].

ج _طبائع وعادات البدو:

أَخذت طبائع البدو حيِّزًا كبيرًا من رحلة البارون (من البحر المتوسط إِلى الخليج العربي)فأفرد ما يقارب الخمسين صفحة للحديث عنها وقدم تفاصيل عن النظام القبلي الذي يعتمد على الأُسرة التي تكون مع أَقاربها الآخرين القبيلة التي يقف على رأسها الشيخ وهو الزعيم الأعلى للقبيلة الذي يجب أَن يتحلَّى بصفات أَهمها الشجاعة والكرم وغالبًا ما يكون وراثيًا أَو يكون الأخ هو الشيخ وعلى الشيخ يأخذ آراء أَبناء قبيلته من وجهاء القبيلة في أمور الحرب وغيرها كما وصف عقيد القوم أي الزعيم الحربي الذي ليس من الضرورة ان يكون هو الشيخ نفسه [4].

---

(1) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي :69/2-70

(2) المصدر نفسه :72/2-73

(3) المصدر نفسه :75/2

(4)اوبنهايم ، من البحر المتوسط الى الخليج العربي :111/2-113

فيقول عن العربي البدوي لديه مزيج غريب من الخصال الحميدة والصفات الدنيئة وتغلب عليه العناصر الإيجابية فطالما لا تهان كرامته ولا يرغمه واجب الأَخذ بالثأر فانه يكون مسالماً وطيباً ولطيفاً الا انهم قد يرتكبون الفظائع كما فعلو في معاركهم مع الآيزيديَّة [1].

ويعدُّ الدين أَمرًا ثانويًا في حياة البدو والبدو شبه المستقرين أكثر تدينًا، ومن النادر ان يرى المرء البدو يقيمون الصلاة بل الغالبية لا يعرفون القواعد والحركات المتبعة اثناء الصلاة ويقول: "كما كان المشهد طريفاً عندما كان الشيخ فارس السمين المتراخي يحاول بحضوري وبتظاهر واضح أداء والواجبات والتعاليم الدينية وكم كانت كبيرة الأخطاء التي وقع فيها رغم كل ما يبذله من جهد ولم يتبعه رجلاً واحداً من مئات الرجال الشمريين الذين كانوا جالسين في خيمته" [2].

وعن أَفراد القبيلة ذكر أُوبنهايم فضلًا عن أبناء القبيلة أعضاء آخرين من قبائل أُخرى أَجبرتهم الظروف على ترك قبائلهم بسبب الثأر وغيره من الأسباب، كما تضمُّ القبائل العديد من العبيد السود الذين كان لهم وجود عند البدو منذ قبل الإسلام ويحرص شيوخ القبائل على أَن يكون لديهم عدد كبير من العبيد الذين يشكِّلون نوعًا من الحرس الشخصي ويرى أُوبنهايم أَنَّ أَغلب هؤلاء العبيد مولدين في المنطقة ويقول إِنَّ طرائق جلبهم كانت من مكة ومن البصرة، وعن مكانتهم يقول إِنَّ أَفقر بدوي يرى نفسه أَرقى جدًا وأَعلى مكانة من الأسود ولا يمكن بأي حال أَن تتزوج المرأة من القبيلة أَحد العبيد[3].

ويقدِّم تفاصيل كثيرة عن النظام القضائي لدى البدو والقتل والدية وقانون الدم بالدم والثأر من أَقارب القاتل حتى الدرجة الخامسة دون أي اعلان أَو إطلاق تهديد، وبسبب هذه المبدأ وحروب الثأر اشتعلت العداوات بين القبائل وزادت الحروب بينها الَّذي يجعل من البدوي مغلقاً إِلى أَبعد الحدود ويجعل من الصعوبة إِقامة أي

(1) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي :161/2

(2) المصدر نفسه:163/2

(3) المصدر نفسه :115/2-116

سلطة للدولة، وان كان للثأر إِيجابيَّة فهو الذي يحد من طبيعة البدوي وانفعالاته المتوحشة؛ إِذ الموت سيهدد جميع أَفراد أُسرته أَن أَقدم على القتل، على الرغم من الخلافات والشتائم التي تحدث بينهم [1] .

وهناك مؤسسة أُخرى ذات أهمية كبيرة لدى البدو وهي الدخالة التي يصفها البارون أَنَّها تنبع من أنبل جوانب الطبع العربي المرتبطة برحابة الصدر والشجاعة التي تقدم الحماية للملاحق ضد أَعدائه وللضعيف والعاجز [2] .

كما يصف البارون الكرم والرغبة الجامحة لدى كل بدوي في أَن يؤدي واجب الضيافة بطريقة سخية مما يدفع العربي إِلى ميل نحو جمع الثروة التي تمكنه من تأدية الواجب التي قد تنقلب إِلى الجشع مما يدفع البدوي إِلى القيام بأعمال إجرامية حتى غدت السرقة غير مستنكره لديهم ،ويقدم تفاصيل عن طرق السرقة لدى البدو والعقاب والعفو عنهم ويذكر أَعمال السلب والنهب الكبيرة التي يقوم بها العشرات من أبناء القبيلة الواحدة وتحتاج إِلى أَعداد كبيرة من رواحل من الخيل والإِبل وتختلف تلك الأَعمال بين الربيع والصيف، وعلى شيخ القبيلة أَن يقوم بالغزو كل مُدَّة حرصًا على سمعته وسمعت القبيلة وفي هذه الغزوات التي تشن من أَجل نهب الإِبل والأَغنام يحرص البدو على حياة خصومهم وفي حال مطارتهم يتخلون عن جزء كبير من الغنائم في الطريق، ويفرق البارون بين غزوات البحث عن الغنائم وبين الحروب التي تضطر القبائل إِلى دخولها بدافع الحاجة، الَّتي تمثل صراعًا حول البقاء، ذلك أَنَّ قطعان الماشية تحتاج إِلى مراعٍ ذات مساحات شاسعة فهم بحاجة إِلى التنقل، وتتخلى القبيلة عن مراعيها؛ إِذما شعرت أَنَّها ضعيفة ولا تسطيع الدفاع عنه، ويعدد البارون أَسلحة البدو فيذكر فهي الرمح والحربة والسيف والشلفة والمكوار والبنادق البدائية ذات فتيلي وجفتة [3] .

---

(1) المصدر نفسه:2/118-120

(2)اوبنهايم ، من البحر المتوسط الى الخليج العربي2/121

(3) المصدر نفسه:2/124-128

ويقدِّم أُوبنهايم تفاصيل عن أَملاك البدو وأَهمها الإِبل الَّتي قد تصل إِلى آلاف لدى القبيلة الواحدة ويصف سرج الإِبل بالتفصيل وعن الخيول فهي من علامات الثراء لدى البدو ويرجع سبب نقص الخيول إِلى العراق والجزيرة الفراتية إِلى حملات الشراء التي قام بها الخديوي عباس الأَوّل، ويقال: إِنَّه جلب 1000 فرس إِلى اصطبلاته كما أَنَّ شغف الحكومة الهندية بالخيول العربية أَدَّى إِلى تصدير أَعداد كبيرة إِلى الهند ويزعم أَنَّ السوق الأُوربية لم يردها الكثير من الخيول بسبب منع الحكومة التركية تصدير الخيول إِلى أُوربا ويذكر أصناف الخيول العربية وأَشهرها الكحيلان والصقلاوي والجدراني وحمداني سميري ومعنقي وغيرها، ويقدم عامل النسب في تقدير قيمة الخيل على البنية الجسدية لدى العرب ويذكر ملامح الخيول العربية وأَلوانها، ويفصِّل في حرص البدوي على سلامة الخيل وتفاصيل السرج واللجام والحدوات [1] .

ويشرع البارون في وصف ملامح العربي فيقول: مثل ما يعتز بنسب خيله يعتز بالبدوي بنسبه على عكس العربي في المدينة الذي اختلط دمه بدماء الأَقوام الأُخرى، ويقول عن العربي : وقفة البدوي جيدة ومستقيمة ووقور ومتزن، لكنه سريع الانفعال ويندر أَن يكون طويلًا، وهو على الأَغلب نحيف ونظرة العربي حادة وقوية وعينان العربي نصف مغلقة نتيجة لضوء الشمس، ويفصل في وصف ملامح العربي فيصف الرأس والأُذنين والشفاه، ويقو: ويترك البدوي شعره وتكون على شكل جدائل سائبة دون غطاء وملابس البدو بسيطة جدًا، وهي ثوب من قماش قطني له أَكمام واسعة ولا يخلعه البدوي إِلَّا عندما يستحم حين تحين الفرصة حين يجد جدولاً مائيا أَو بئراً، ويرتدي الأغنياء الزبون فوق القميص، وقد يقتني البدوي ملابس أخرى مثل الفروة والعباية وغطاء الرأس هي الكفية وهي من قماش أَبيض ولدى بعض الأغنياء تكون من الحرير، ويصف لباس النساء والوشم والمصوغات

(1) المصدر نفسه:2/135-140

التي ترتديها البدوية وملابس الأَطفال الذين يبقون حتى الخامسة من العمر شبه عراة [1] .

ويذكر البارون مكانة النساء لدى البدو وعلى الرغم من منع النساء من دخول قسم الرجال من الخيمة فإِنَّها قد تستشار في بعض الأُمور ويلقى رأيها أُذنًا صاغية وما زال الناس في بوادي العراق وسوريا يتحدثون عن الدور الذي لعبته إِحدى نساء الشيخ صفوك أُم عبد الكريم وعبد الرزاق وفارس في تاريخ قبيلة شمر، ويقول: إِنَّ مكانة النساء تزداد حين تنجب ولداً وتنادى باسم أُم فلان ولا يعرض أحد للنساء في حملات السلب والنهب [2] .

ويقول أُوبنهايم: إِنَّ النساء تتحمل جميع الأَعباء في الريف والبادية، من أَعمال المنزل ونقل الماء وجلب الحطب وحلب الماشية واستخراج الزبد وطحن الدقيق ونسج قماش الخيمة والغزل بالنول، ويذكر البارون تعدد الزواج وأَنَّه ظاهره غير عادية عند البدو وتقتصر على الشيوخ ويتجنى أُوبنهايم فيقول إِنَّ الزواج هو عبارة عن عملية شراء قانونية للنساء والمهر يتفاوت بين الأشخاص فيدفع الشيوخ الكبار قطيعًا كاملاً من الإِبل والعديد من العبيد والبدو يراعون ميل الفتاة، وتروى كثير من قصص العشق بسبب المخالطة بينهم وعلى الرغم من الحريات التي تتمتع بها النساء عكس نساء المدن فالبدوي يميل إِلى الغيرة عند أَقل اشتباه ويتم تزويج البنات في سن مبكرة جدًا حتى تبدو المرأة في سن الثامنة عشرة شيخة وقورة بسبب الزواج المبكر وكثرة الولادات، وإِن حُرمت المرأة من الإِنجاب يتخلى عنها العربي، وإمكانية تزوج الرجل من زوجة أُخرى إِن كانت زوجته عاقراً.

يلاحظ أُوبنهايم كثرة أبناء البدو، وقد يكون للبعض عدد كبير من الأولاد مثل فرحان باشا الذي كان له 17 ابنًا على قيد الحياة ويرى أُوبنهايم أَنَّ الصراعات

---

(1) المصدر نفسه:2/146-151

(2) المصدر نفسه:2/151

المستمرة بين البدو وظروف المعيشة السيئة كان لها آثار عكسية على أَعداد البدو (1) .

المبحث الثاني

أَوّلًا: وصف ريف الموصل الغربي:

بعد مغادرة أُوبنهايم لمخيم الشيخ فارس الجربا يدخل فعليًا في الأراضي العراقية في الرابع عشر من أغسطس بعد عدة كيلو مترات وكما سجل أُوبنهايم وصفًا دقيقًا للطرق والجغرافية في بلاد الشام وشرق الفرات السوري يواصل البارون تسجيل الملاحظات عن الأَودية والمياه والطرق والتكوينات الطبغرافية لغرب الموصل.

بسبب مخاطر الطريق دخل أُوبنهايم حدود العراق الحالية بعد مغادرة مخيم الشيخ فارس متخذا جميع الإجراءات الاحترازية والعديد من الحراس في مقدمة القافلة وفي مؤخرتها بسبب الصراع بين الآيزيديَّة والقبائل العربية خاصة وأَنَّ العديد منهم يعبر نهر دجلة متوجهاً إِلى سنجار وفي بعض ساعات الا وقد وجد نفسه محاط ب 150 رجلاً من قبيلة الجحيش كانوا يعتقدون أَنَّ أُوبنهايم وقافلته من الآيزيديَّة وبعد معرفتهم اطمأن الجميع وهذا مثال واحد على المخاطر التي كانت تحيط به في قدومه إِلى الموصل (2)

بعد لقاء قبيلة الجحيش التي كانت تقطن عند الحدود العراقية السورية الحالية شمال ناحية ربيعة الحالية في منطقة السويدية التي يذكر أُوبنهايم أَنَّها كانت تضم العديد من الحيوانات البرية مثل الخنازير البرية ويصف أُوبنهايم تلك المنطقة بانها أراضي هضبة يتجه جريان الماء نحو الشرق أي باتجاه نهر دجلة (3)

يسير البارون بمحاذاة سيل أَو وادي السويدية ويدخل موقع أثرى يسمى الخان وفي منتصف النهار يصل إِلى قرية الصفية التي تتميز بتل وسيل ماء وبعد

---

(1) اوبنهايم ،من البحر المتوسط الى الخليج العربي :2/152-155

(2) المصدر نفسه:2/147-148

(3) المصدر نفسه:2/187

عبور عدة اودية يعبر إلى الجهة الشرقية لوادي السويدية في أراضي صعبة الحركة، يشاهد قرية الخان (خان صفية) التي يتفقدها ويجد بعض الآثار فيقول "فوجئت بوجود بقايا بناية كبيرة على المرتفع أربعة جدران تحيط بساحة مستطيلة الشكل طولها 23 خطوة وعرضها 19 خطوة " [1]ويفصل في تلك الاثار ويصفها وصفًا دقيقًا.

بعد قرية الخان يتجه نحو الشرق محاذيًا لوادي السويدية ويصف طبيعة الأرض والمجاري المائية حتى يصل إلى الهضاب التي تشرف على نهر دجلة فيقول عنها "كانت الطبيعة في غاية الروعة والجمال كان السفح الجنوبي يتألف من حجارة حمراء اللون استقرت فوقها كتل رسوبية كبيرة " بعدها يصل إلى دجلة؛ إذ يجد مخيم لقبيلة الهسينيان الكردية، ويصف في طريقه منطقة حاوي زمار وجبال عين زالة وعين الحلوة وحكنة واسكي موصل وتويم والأبيتر ومن ثم إلى بادوش والحميدات ثم الوصول إلى الموصل [2]

في هذه المرحلة من الرحلة يقدم اوبنهيم وصفًا دقيقًا للطرق مرفقا بتوقيتات الانطلاق والمسير كما يقدم وصف للهضاب والتلال والأَودية والمياه الا ان أَبرز المعلومات التي يقدمها لمنطقة غرب الموصل التي مر بها المعلومات الدقيقة عن القبائل التي وجدها في طريقه مثل قبيلة الجحيش وشيخها علو الصالح[3] وقبيلة الهسينيان الذين استقروا في قرية بالقرب من نهر دجلة فيصفهم قائلًا : "كان سكان القرية يتميزون بأجسامهم القوية وقامتهم الطويلة وكان بعض النساء جميلات بشكل ملفت وكان مسكن الاغا واسمه عمر المسطي مؤلفا من مجمع من البيوت الطينية المختلفة ...مع غروب الشمس اقام الاكراد معا الصلاة وقام الشيخ بدور الإمام وهذا دليل التقوى الامر الذي تندر مشاهدته عند البدو " [4]

---

(1) المصدر نفسه:187/2

(2) اوبنهايم ،من البحر المتوسط الى الخليج العربي:188/2-189

(3) المصدر نفسه:175/2

(4) المصدر نفسه:189/2-190

كما وصف سكان قرية أبو وجنة من قبيلة المعامرة العربية وقال: أعاد جميع هؤلاء السادة نسبهم إِلى الحسين بن الخليفة علي، لكنهم كانوا رغم نسبهم الرفيع فلاحين بسطاء يشتغلون إِلى جانب عملهم في صنع النواعير، كان عملهم الرئيسي ينصب على مزرعة قرب النهر تابعة للسلطان ويذكر أَنَّ العديد من هذه المزارع موجودة على نهر دجلة اغلبها يعمل بها فلاحين من قبيلة الجبور ويدفعون 15% لخزينة الدولة[1].

كما ذكر في أَسكي موصل بعض العائلات التي كانت تعمل في زراعة الخضروات بالقرب من أَسكي موصل في دلتا وادي المر أَعلى ضفاف نهر دجلة، وقد شاهدهم أُوبنهايم وهم يجنون محصول البطيخ الأحمر في تلك الحقول شديدة الخصوبة وكان السكان يعيشون في حماية الضابطية قرب قلعتهم حديثة البناء [2] .

وأَشار إِلى بعض صعوبات الحياة التي يجدها السكان مثل عدم صلاحية ماء قرية الابيتر للشرب الذي تعاني نساء القرية في جلبه فضلًا عن الشكاوى من كثرة أَعمال السلب والنهب التي يمارسها الشمر الَّتي تحمل الفلاحين على النزوح من القرى [3]

ويذكر أُوبنهايم قبيلة الجرجرية ويقول عنم أَنَّهم أَكراد كان مخيمهم أَكواخ من الحصائر والخيم بالقرب من تل موس إِلَّا أَنَّهم يرتدون ملابس العرب وعلاقتهم جيدة مع قبيلة شمر كون سعدون الجرجري أَحد أَحماء الشيخ فارس وذكر أَنَّ لديهم طاحونة تدار بجدول الماء القريب منهم [4] .

الأَمر الثاني الذي أَخذ حيِّزًا كبيرًا من تفاصيل رحلته في ريف غرب الموصل هو المواقع الآثرية التي مرَّ بها فيصفها وصفًا دقيقًا، ويقوم بقياس أَبعادها وارتفاعها ولم يغب عنه أي اثر مر به سواء كان صغيرا أَم كبيرا أَم جسرًا بل أَنَّه يذكر بعض

(1) المصدر نفسه:192/2

(2) المصدر نفسه:197/2

(3) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي :198/2

(4) المصدر نفسه:195/2

المواقع الآثرية القريبة من طريقه وان كان لم يشاهدها معتمدا على وصف السكان الذين التقى بهم كم فعل حين نقل الهسينيان "حسب قول الأَكراد في جبال قرة تشوك موقعان اثريان غريبا الشكل ومتشابهان إِلى حد ما يسمَّى الأَوَّل الذي يبعد مسافة ساعتين عن القرية وساعة ونصف عن دجلة الجزرونية ويقال بأن هناك مباني قديمة ...ويقال بأَنَّ هناك مباني قببية وخانا وحماما لم تزل بحالة جيدة أَمَّا الموقع الآخر المسمَّى سحيل فيقع على بعد أَربع ساعات من حاوي زمار " [1].

ومن أَبرز المدن والبلدات الاثارية التي وصفها أُوبنهايم أبو وجنة واسكي موصل ويبدو ان اهتمامه بها كونة من الرحالة القلائل الذين كانوا يسجلون ملاحظات عن الآثار فقال عن أبو وجنة: "وجدت في حقل الآثار جدرانًا من مختلف الأنواع ، لا بل كان يوجد في بعض المواقع قبب وغرف وأَجزاء كاملة من بيوت بارزة فوق سطح الأرض ... فوجئت بوجود بقايا جامع في غاية الروعة تشهد على ما كانت هذه المدينة المطمورة تحت الأَنقاض تتمتع به في يوم من الأَيام من فخامة ورخاء ...غير إِنَّني لم اكتشف أَي كتابات لا في الجامع ولا في بقية الآثار"[2].

كما ذكر أُوبنهايم القلاع الاثرية التي أقيمت فوق تل حكنة وتل موس وتل الشيرج وأَرجع بنائها إِلى والي الموصل بأَمر السلطان العثماني من أَجل حماية الطريق التجاري من غارات البدو[3].

كما ذكر جسر أَسكي موصل ذي القوس الواحد الذي يزيد طوله عن عشرين متر قبل ان يدخل إِلى شرح وبيان اثار مدينة اسكي موصل فقال (فوق هذه الطبقة من الأنقاض يظهر بشكل واضح حقل ثاني من الأنقاض يبلغ نصف قطرة مسافة نصف ساعة تقريبا وتبرز منه فوق الأرض في مواقع كثيرة أَقواس وبقايا جدران وبيوت تشبه تلك الموجودة في لبو وجنة، وكان هناك العديد من الجوامع الكبيرة الحجم التي لم تزل جدرانها الأساسية كغيرها من المباني باقية بشكل سليم وتشير إِلى

(1) المصدر نفسه:2/

(2) المصدر نفسه:193/2

(3) المصدر نفسه:194/2

مدينة إسلامية قديمة كانت موجودة هنا هي على الأَرجح مدينة بلد الشهيرة)[1]وذكر أُوبنهايم بعض المواقع الأُخرى مثل دير جبل البطم وآثار الجصة وقصر جبل الشيرج[2] .

ومِمَّا يميز أُوبنهايم الدقة في تدوين الخرائط والتعريف بالمدن التي مرَّ بها؛ إِذ استعان بالبرفسور دي غوييه* وقدم له ملاحظات حول المواقع الآثارية بين نصيبين والموصل والمعروفة لدى البلدانيين العرب مثل ابن خرداذبة والمقدسي وياقوت الحموي والبكري والطبري وأبو الفدا وابن حوقل وتوصل إِلى ان (أبو وجنة) هي مدينة باعيناثا ورميلان هي برقعيد وحاوي زمار هي كفر زمار التاريخية واسكي موصل هي بلد التاريخية [3]

ثانيا: وصف ريف الموصل الجنوبي :

بعد مغادرة الموصل يوضح أُوبنهايم أَنَّه اختار السفر عبر نهر دجلة لأسباب عديدة من أَبرزها تمكنه من زيارة المواقع الآثارية والبلدات كونها قريبة على مجرى النهر ولا يحتاج إِلى العبور بكل القافلة عبر النهر لكل زيارة، وذكر أَنَّ الطريق الغربي خطر ولذلك فان العديد من المسافرين يتجنبون السفر وسلوكه، بسبب غارات شمر، أَمَّا الطريق الشرقي من أربيل إِلى التون كبري كركوك كفري فهو يسير على امتداد سفوح الجبال إِلَّا أَنَّه صعب في الشتاء بسبب الأَمطار وتهديد عشائر الهماوند. [4]

---

(1)اوبنهايم من الخليج العربي الى المتوسط :196-195/2

(2) المصدر نفسه:192/2

* ينظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3(دار العلم للملايين، بيروت :1993) ص230-237

(3) المصدر نفسه:202-201/2

(4) المصدر نفسه:232/2 الهماون احدى القبائل الكردية القوية ينظر مارك ساكيس، القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة خليل علي مراد، (دار الزمان، دمشق:2007) ص39

والسفر عبر نهر دجلة كان بواسطة الأكلاك التي اشتهرت بها الموصل رغم تململ البارون بسبب صغر المساحة المتاحة وبعد دفع مبلغ مالي نصب له كوخ فوق الكلك ليتجنب حرارة الصيف على الرغم من اختياره السفر عبر النهر إِلَّا أَنَّه ذكر العديد من المخاطر التي يتعرض لها المسافر وذكر قصة الرحالة الفرنسي كومت دي شولية الذي نجى بأعجوبة من هجوم بعد قتل العديد من المسافرين معه مما اضطر أُوبنهايم ان يستعين برجلين من الضابطية أَرسلهم والي الموصل لمرافقته.

ويذكر أُوبنهايم أَنَّ صناعة الأَكلاك رائجة على شواطئ دجلة وهي ركن أساسي في نقل التجارة بين ديار بكر والموصل، وتصنع في الموصل كذلك وتفكك في بغداد حيث تباع الاخشاب، وتعتمد سرعة الأَكلاك على قوة التيار حسب الفصل وسرعة الماء، حيث تستغرق الرحلة في الربيع خمسة أيام وفي الخريف تسعة أيام اما رحلة البارون فقد استغرقت سبعة أيام [1] .

وفي رحلته لم يفت أُوبنهايم أَن يذكر أَغلب القرى التي مرَّ بقربها فذكر الصيرمون والبو سيف والشمسيات وقص فخرة والقنيطرة والبو جواري وأُم قصر ولزاقه وصفق (صف التوث) والعريج وحاوي اصلان والحميرة وحمام علي ويفصل في ذكر الحمامات المعدنية وكيف يتم الاستحمام بها وكيف يتم تأجير البيوت للزوار الذين يأتون اليها من بغداد والموصل وفي24 اب 1890م يغادر حمام العليل ويستمر في ذكر القرى مثل جهينة والسلامية حتى ينزل بالقرب من آثار النمرود والملاحظ أَنَّ أُوبنهايم عند ذكر أي قرية يقدم تفاصل عنها مثل عدد البيوت وأَي القبائل تسكنها ومواد البناء التي استخدمت في البناء دون الإشارة إِلى عمل هؤلاء السكان ويبدو أَنَّ سكان هذه المناطق أَكثر استقرارًا من سكان غرب الموصل قد يكون للنهر والقرب من الموصل قد منحهم أَمانًا أَكثر من غرب الموصل بسبب قلة غزوات البدو [2]

(1) اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي:234/2، للمزيد عن الاكلاك ينظر عامر بلو،الاكلاك في الموصل مطلع القرن العشرين، مجلة دراسات موصلية العدد53 اب 2019

(2) المصدر نفسه:237/2-239

نزل أُوبنهايم في آثار النمرود ووصفها وقدم قياسات دقيقة للتل الأَثري وذكر أَعمال لايارد ورسام وقال عن اثار النمرود هي عبارة عن أربعة قصور يعود احدها إلى آشور بانيبال وشرع في ذكر تفاصيل أُخرى عن تاريخ بناء القصور إلَّا أَنَّ أَبرز ما قاله أُوبنهايم عن الاثار في فترة زيارته: "على الرغم من نقل الكنوز المكتشفة إلى لندن واسطنبول فلم يزل يوجد هناك كثير من الأَلواح الكبيرة المزينة بالكتابات والرسوم الناتئة والعديد من الثيران المجنحة التي تحمل رؤوسا بشرية ....ان هذه الكنوز التي قاومت نوائب الزمن تحت حماية الغطاء الركامي الذي سقط فوقها الاف السنين قد لحق بها في الأعوام القليلة التي مرت منذ كشفها ابلغ الضرر " (1)

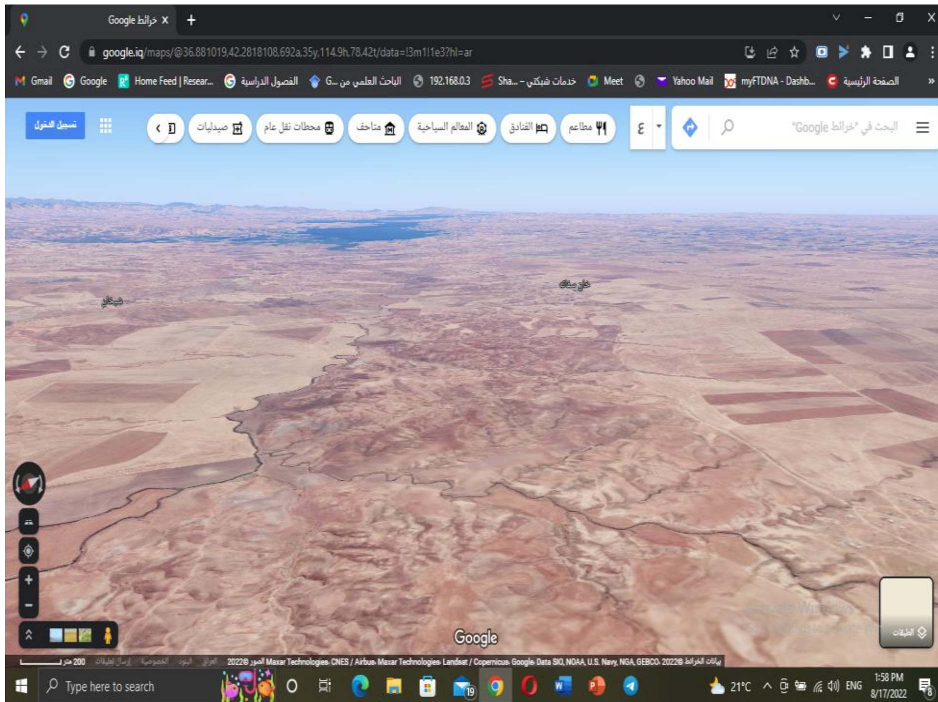
يعود أُوبنهايم مرة أخرى إلى وصف القرى التي يمر بها فيذكر اسم القرية والقبيلة التي ينتمي اليها السكان وعدد البيوت وهل هي من الطين أَو من الاكواخ التي أقيمت بجوار النهر في الصيف فذكر قرية النايفة وقرية النمرود التي قدم سكانها الجبور انفسهم بانهم حماة الاثار ويتسأل أُوبنهايم عن عشيرة الشمطة التي ذكرها لايارد التي لم يجد احد منهم، ويواصل ذكر القرى على جانبي النهر على نفس النهج المذكور قرية السيد احمد صنيديق، وبعد وصوله إلى مصب الزاب يذكر هضبة كشاف وقرية الخضر وقرية تل الشوك وتل الشعير وقرية السلطان عبدالله والمكوك والقيارة نبع القير وام ارقبه والعوسجة والشحلة وقنعوص حتى يصل في 25 آب أغسطس إلى مخيم شمر قرب الشرقاط .

قد يكون من المستغرب إصرار أُوبنهايم على ذكر كل هذه القرى التي اغلب سكانها يعودون إلى قبيلة الجبور العربية الَّذي يراجع كتاب البدو الموسوعة التي وضعها أُوبنهايم لأَنساب القبائل يجد أَنَّ هذه المعلومات قد اختصرت عليه الكثير من الوقت والجهد في بيان مناطق انتشار قبيلة الجبور بين زمار والشرقاط. (2)

(1) المصدر نفسه:242-241/2

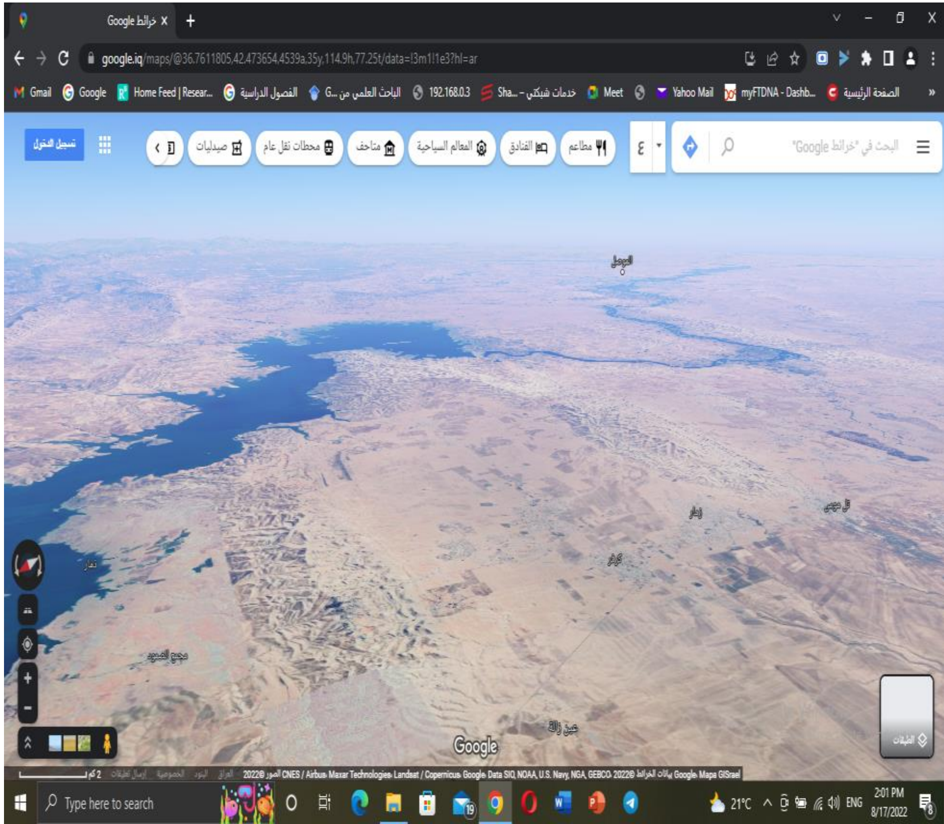
(2) المصدر نفسه:246-244/2؛ينظر ماكس فون اوبنهايم ،البدو ،ترجمة ماجد شبر ، ط2(دار الوراق ،لندن :2007)ج284-283/1

بعد الوصول إِلى الشرقاط يصف أبناء فرحان باشا شيخ شمر فيصل ومطلق اللذان سمعا بمقدم أُوبنهايم الذي كان قد حل ضيفا على عمهم فارس الجربا مما يحملهم على استقبال البارون بكرم بالغ ويطلب فيصل منه ان يبقى لأسبوع كامل في ضيافته وبسبب تفشي وباء الكوليرا والخوف من الحجر يجعل البارون مصرا على الرحيل إِلَّا أَنَّه يطلب طلبا غريبًا من فيصل وهو الدخول إِلى قسم النساء ولقاء نساء الشيخ؛ فيفيض أُوبنهايم في وصف نساء الشيخ وما يملكن من حلي ومتاع [1].



صورة من خرائط كوكل تبين الطريق الذي سلكه أُوبنهايم من سوريا وباتجاه نهر دجلة

(1) المصدر نفسه:247-246/2



صورة من خرائط كوكل تبين نهر دجلة (سد الموصل) وجبل عين زالة وقرية أبو وجنة التي مرها أُوبنهايم في طريقه إِلى الموصل

الخاتمة

1- شهد العراق والموصل الكثير من الرحلات الاستكشافية التي دونت العديد من الملاحظات عن أَوضاع العراق.

2- لقي ريف الموصل والعشائر والقبائل العربية المقيمة في المنطقة عناية الرحالة الأُوربيين بشكل واسع.

3- يُعدُّ أُوبنهايم واحدًا من أَبرز الرحَّالة الذين دوَّنوا الكثير من الملاحظات حول ريف الموصل وولاية الموصل بشكل عام.

4- اتسمت تلك الملاحظات بالدقة في نقل طبيعة السكان وتكوين المجتمع في ولاية الموصل.

5- لم تغب عن الرحالة والمستشرق أُوبنهايم وصف المواقع الآثرية والتاريخية في ريف الموصل.

6- قدم أُوبنهايم العديد من الملاحظات التي يعتقد أَنَّها تبعث على استقرار وتطور ريف الموصل مثل نشر الحاميات وأنشاء خطوط التلغراف.

References

- Abd al-Rahman Badawi, **Encyclopedia of Orientalists**, 3rd edition (Dar al-Ilm Li'l-Malayyin, Beirut: 1993), pp. 230-237.
- Austin Henry Layard, **Nineveh and its Antiquities**, translated by Khader Ali Sweid, 1st edition, (Dar Al-Rafidain, Beirut: 2018) Part 1/216-218
- Carsten Niebuhr, **Niebuhr's Complete Journey to Iraq**, translated by Salem Al-Alusi (Dar Al-Warraq, Nadar Al-Warraq, Beirut: 2012) 322-328; Layard, same source: Vol. 1, pp. 191-224
- Mark Sakis, **The Kurdish Tribes in the Ottoman Empire**, translated by Khalil Ali Murad, (Dar Al-Zaman, Damascus: 2007), p. 39
- Max von Oppenheim**, From the Mediterranean to the Arabian Gulf**, translated by Mahmoud Kabibo, Dar Al-Warraq: London 2009, part 2.
- Winston, **Lady Ann Blunt, the Autobiography,** translated by Raymond Palecki (Dar Barzan, Beirut: 2003).
- Zakhao (1845-1930 AD), **Naguib Al-Aqiqi, The Orientalists**, 3rd edition (Dar Al-Maarif, Cairo: 1964). 2\740.

The Countryside of Mosul through Max von Oppenheim Travel Book

Khattab Ismail Ahmed*

Muhammad Ali Saleh Ali **

Abstract

∗ **Prof / Department of History / University of Zakho / Kurdistan Region of Iraq.**

∗∗**Asst. Prof / Department of History / College of Arts / University of Mosul.**

The research paper tackling the most important journey, which described the Arab Mashreq at the end of the nineteenth century, that is to say, the journey of the most important figure that effected the Arab Mashreq, and some interested people considered the German traveler Max von Oppenheim as a semi-authentic copy of Lawrence of Arabia. Oppenheim is a researcher specialized in history and archaeology. In his journey from the Mediterranean to the Arab Gulf, he went by way of Mosul. As for Mosul, he came to it via Syria, Nisebin and areas of north-west Mosul, and departed it to Baghdad. During his stay in Mosul, he described in his book some areas that lay to the south of Mosul.

Whoever reads Oppenheim's travel book will find a lot of geographical information. He described the road, the ground nature, rivers, valleys. He also measured the distance between the prominent towns and villages. It is worthy of note that he made use of previous travelers' maps such as Anne Isabella Noel Blunt and Carl Eduard Sachau, and he consulted some Orientalists to specifying positions of some ancient cities, which he described precisely, like such as Baainatha (Abu-Wajnah).

Key words: Countryside of Mosul, Oppenheim, demography.